قرآنيكا، مجلة عالمية لبحوث القرآن
عدد خاص (4)، فبراير، شباط 2020م، ص 248-212

© 2020 مركز بحوث القرآن
جامعة ملايا، ماليزيا

أثر دراسة أحوال النزول في استنباط الهدايات القرآنية من خلال سورة النساء

د.هاله هاشم أبوزيد

(Significance of Studying the Situations and Circumstances of Inducing and Extracting the Quranic Guidance in Surah of an-Nisa)

Dr. Halah Hashim Abu Zaid

ABSTRACT

This study investigates the situation during which surah (chapter) an-Nisa was revealed to prophet Mohammed (PBUH). This, thus, enables the researcher to extract the intended meanings, dissociative thoughts and guidance conveyed in the textual presentation of the surah. The study talks about the time of revelation of the surah during summer and winter and about what parts were revealed in Mecca and Medina. The study also describes the situation, circumstances and reasons that were taking place at the time of revelation of the surah. The study shows how surah an-Nisa helps extract and induce the multifaceted layers of *Quranic guidance*, which can be better understood when the situation, time and reason of revelation is considered. This understanding and extraction of the *Quranic guidance* should be based on accurate processes i.e. emphasis, addition, clarification and inference. The researcher concludes that understanding and considering the situation, reason and time of revelation is essential in formulating and shaping someone's realization to accurately extracting the implicit and explicit *guidance* of the surah. The researcher concludes that studying the situation, time and reason of revelation helps understand different aspects of the rhetorics and eloquence of the Qur'an. This thus helps extract the wisdom presupposed, shape a complete picture and logic of understanding the multifaceted relations of meaning. This also helps understand the accurate criteria of induction and helps connect the Quranic guidance with the current existing situation. All this shows how unique is the Quranic guidance. The study shows the importance of women in playing an essential part in developing and promoting human society by taking care of family and saving society from social disintegration.

Keywords: *Quranic Guidance, Surah Al-Nisa, Situation and Circumstances of Revelation, Induction, and The Existing Situation*

ملخص

تناول البحث أثر دراسة أحوال نزول السورة في استنباط هداياتها الكلية والجزئية. وتناول البحث في مقدمته التعريف بأحوال النزول، والهدايات القرآنية، ثم تمت دراسة أحوال نزول سورة النساء؛ وتضمنت تاريخ نزول السورة، وترتيب نزولها، وما نزل صيفاً وما نزل شتاءً، وأول ما نزل وآخر ما نزل منها، والمكي والمدني فيها، ونماذج من الأحوال السائدة عند نزولها، وأسباب النزول في بعض آياتها. ثم تناول دراسة أثر أحوال نزول سورة النساء في استنباط الهدايات القرآنية منها، ووصل إلى أن الوقوف على أحوال نزول السورة يوصل إلى الهدايات التي قد لا تُفهم من ظاهر اللفظ، وأن دراسة أحوال النزول لها دور مهم وكبير يؤثر في استنباط الهدايات من النص القرآني إما بالتأكيد، أو الإضافة، أوالتعضيد، أوالتوضيح، أو الاستدلال. ووصل البحث أيضاً إلى أن النظر في الأحوال السائدة عند نزول السورة، ثم الوقوف على أسباب النزول الواردة في آياتها يعطي تصوراً عاماً يؤدي إلى إدراك الهدايات الكلية في السورة، وأنّ ذلك يعين على دقة استنباط الهدايات الجزئية في السورة. وتوصل البحث إلى أنّ دراسة أحوال النزول تفيد في إدراك وجوه بلاغة القرآن الكريم، وجوانب من إعجازه، وتُمكن من الوقوف على الحكمة من التشريع، وتعين على التصور الكلي، وفهم المعنى، والربط بين معاني آيات متعددة، مما يشكل دوراً مهماً يعين على صحة الاستنباط ودقته وفاعليته، وعلى ربط هدايات الآيات بالواقع المعاش؛ وكل ذلك يمثل معياراً من معايير الجودة في دراسة الهدايات القرآنية. وأثمرت الدراسة التطبيقية على سورة النساء؛ في الكشف عن بعض ما يتعلق بالهدايات الكلية في السورة؛ في انصاف النساء، وحسن إعدادهنّ للعمل على ترقية المجتمعات، ومبدأ الرحمة الإنسانية للبشرية عامة، وعوامل صيانة الأسر والمجتمعات من التفكك، والتفرق، والعمل على تحقيق الاجتماع، والتواصل، والتراحم، وأنّ كل ذلك يُعد من مقومات التقوى، وسلامة الاعتقاد، وغير ذلك من الهدايات التي جاءت بها السورة الكريمة.

كلمات دالَّة: الهدايات القرآنية، سورة النساء، أحوال النزول، الاستنباط، الواقع.

1. مقدمة

يدرس هذا البحث أثر أحوال النزول في استنباط الهدايات من النص القرآني، و**الأحوال لغةً** جمع حال، وَحَالة الشَّيْء صفته، وَأحوال الْإِنْسَان مَا يخْتَص بِهِ من أُمُوره ومَا عَلَيْهِ الإنسان مِنْ خَيْرٍ أَو شَرٍّ، وفي الحديث: (وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَتَحَوَّلُنا[1] بِالْمَوْعِظَةِ)، أي يتطلب أحوالنا التي ننشط فيها للموعظة[2]. والنزول لغةً انحطاط من علو، يقال: نَزَلَ عن دابَّته، ونَزَلَ في مكان كذا: حَطَّ رَحْلَهُ فيه، وقال تعالى: (أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ) [المؤمنون: 29] [3]. و **أحوال النزول هي** كل ما يتعلق بنزول الآيات؛ من سبب نزول الآية، ثمّ مكان نزولها بمكة أوالمدينة، وسفراً أوحضراً، وصيفاً أوشتاءً، ووقت نزولها إن كانت من أول ما نزل أو من آخر ما نزل من القرآن، وترتيب نزولها، ثم الأحوال السائدة عند نزولها، وحال النبي صلى الله عليه وسلم ومجتمع المسلمين وقت هذا النزول، فكل ذلك من أحوال النزول التي يُوقف عليها عند دراسة الآيات القرآنية، فأحوال النزول أعم وأشمل من أسباب النزول؛ إذ تتضمن كل ما يتعلق بنزول الآيات. ويقتصر سبب النزول على الحادثة التي وقعت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، أو السؤال الذي يوجه إليه صلى الله عليه وسلم فتنزل الآيات تبين حكم تلك الحادثة أو تجيب عن ذلك السؤال.

---

1 (يتحولنا) بالحاء المهملة، أي: يتطلب أحوالنا التي ننشط فيها للموعظة، و(يتخولنا) والخلة بالضم: الصداقة والمحبة التي تَخَلَلَتْ قلبَ المحب، وذكر بعضهم أنها (يتحولنا) (مسند أحمد (6/ 59)

2 انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن على. (1993). لسان العرب. بيروت: دار صادر،الطبعة: الثالثة. (11/ 190)؛ و والفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. (1426 هـ - 2005 م). القاموس المحيط. بيروت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثامنة، ص: 989 .

3 انظر: المناوي ، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي. (1410هـ-1990م). التوقيف على مهمات التعاريف. عالم الكتب، الطبعة الأولى، ص: 323؛ والراغب الأصفهانى ، أبو القاسم الحسين بن محمد. (1991). المفردات في غريب القرآن. تحقيق صفوان عدنان الداودي. دمشق: دار القلم، الطبعة: الأولى، ص: 799.

و"الهدايات القرآنية" هي: (الدلالة المبينة لإرشادات القرآن الكريم التي توصل لكل خير وتمنع من كل شر)[4]، فهي كل ما يستفاد من الآية القرآنية الكريمة بأي نوع من أنواع الدلالة المعتبرة سواء دلت إبتداء أوبجمعها مع غيرها من النصوص، ثم توظيف كل ما يستفاد من الآية القرآنية الكريمة في إرشادات ذات آثار إيمانية عملية. وتتمثل أهمية هدايات القرآن الكريم؛ في ربانية مصدرها، ومواكبتها لكل حال وزمان ومكان إلى قيام الساعة، وأنها تحقق للناس السعادة في دينهم ودنياهم وأخراهم، وهي تحمل كل ما يحمد من الصفات التي اتصف بها القرآن؛ فهي نور، وهدى، وشفاء، ورحمة، وبركة.

تُعد **أحوال نزول السورة من أهم مباحث علوم القرآن** التي تُعين على فهم كتاب الله تعالى، قال الزركشي في ذلك: (مِنْ أَشْرَفِ عُلُومِ الْقُرْآنِ عِلْمُ نُزُولِهِ وَجِهَاتِهِ وَتَرْتِيبِ مَا نَزَلَ بِمَكَّةَ ابْتِدَاءً وَوَسَطًا وَانْتِهَاءً وَتَرْتِيبِ مَا نَزَلَ بِالْمَدِينَةِ كَذَلِكَ ثُمَّ مَا نَزَلَ بِمَكَّةَ وَحُكْمُهُ مَدَنِيٌّ وَمَا نَزَلَ بِالْمَدِينَةِ وَحُكْمُهُ مَكِّيٌّ وَمَا نَزَلَ بِمَكَّةَ فِي أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَا نَزَلَ بِالْمَدِينَةِ فِي أَهْلِ مَكَّةَ ثُمَّ مَا يُشْبِهُ نُزُولَ الْمَكِّيِّ فِي الْمَدَنِيِّ وَمَا يُشْبِهُ نُزُولَ الْمَدَنِيِّ فِي الْمَكِّيِّ ثُمَّ مَا نَزَلَ بِالْجُحْفَةِ[5] وَمَا نَزَلَ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَمَا نَزَلَ بِالطَّائِفِ وَمَا نَزَلَ بِالْحُدَيْبِيَةِ ثُمَّ مَا نَزَلَ لَيْلًا وَمَا نَزَلَ نَهَارًا وَمَا نَزَلَ مُشَيَّعًا وَمَا نَزَلَ مُفْرَدًا ثُمَّ الْآيَاتِ الْمُدْنِيَاتِ فِي السُّوَرِ الْمَكِّيَّةِ وَالْآيَاتِ الْمَكِّيَّةِ فِي السُّوَرِ الْمَدَنِيَّةِ ثُمَّ مَا حُمِلَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَمَا حُمِلَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ وَمَا حُمِلَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ ثُمَّ مَا نَزَلَ مُجْمَلًا وَمَا نَزَلَ مُفَسَّرًا وَمَا نَزَلَ مَرْمُوزًا ثُمَّ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ مَدَنِيٌّ هَذِهِ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ وَجْهًا مَنْ لَمْ يَعْرِفْهَا وَيُمَيِّزْ بَيْنَهَا لَمْ يَحِلَّ لَهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تعالى)[6]. ولمعرفة تاريخ نزول الآيات أثر مهم في الأحكام الفقهية؛ إذ به يتميز الناسخ من المنسوخ،

---

4 طه عابدين، يسن قاري، فخر الدين علي. (2017). الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية. مكتبة المتنبيء، (41/1).

5 تقع في الطريق بين المدينة ومكّة، وكان اسمها مهيعة، فجاءهم السّيل، فاجتحفهم، فسمّيت الجحفة. وهي الميقات المحدد لأهل الشام (وأصبح الآن رابغ). وبين الجحفة والبحر نحو من ستّة أميال. معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع (2/ 368)

6 الزركشي، بدر الدين. (1376هـ- 1957م). البرهان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل. دار إحياء الكتب العربية (1/ 192)

والقول بالنسخ يقتضي معرفة تاريخ نزول الآيات؛ ليقال إن اللاحق نسخ السابق. كما في قوله تعالى في سورة النساء: (وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا) [النساء: 15]، نُسخت بآية سورة النور التي بينت الحكم في الزانيات بقوله تعالى: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) [النور: 2]. وآية سورة النور نزلت بعد آية النساء؛ لذلك فهي ناسخة للحكم الذي جاء في آية النساء.

ولدراسة أسباب النزول أهمية كبيرة في فهم القرآن الكريم، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بن مسسعود رضي الله عنه: (وَاللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ، وَلاَ أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ، تُبَلِّغُهُ الإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ)[7]. وقال ابن تيمية: (ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية؛ فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب)[8]، (فالسبب إن لم يكن دليلًا على صحة المعنى، وسلامة التأويل, فهو من الأمور التي يستأنس بها في ذلك، ولا شك)[9]. فالعناية بأسباب النزول تُمكن من فهم المعاني، وإدراك الحكم من النص القرآني، ومن ثم استنباط الهدايات منه. و(هي أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تصرف العناية إليها لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها)[10]. و(بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز)[11]

---

7 أخرجه البخاري، كِتَابُ فَضَائِلِ القُرْآنِ، بَابُ القُرَّاءِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، 5002 ومسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله عنهما رقم 2463

8 ابن تيمية.(1490هـ/ 1980م). مقدمة في أصول التفسير. بيروت: دار مكتبة الحياة، ص: 16.

9 محمد بكر إسماعيل. (1419هـ- 1999م). دراسات في علوم القرآن، دار المنار، ص: 180.

10 الواحدي. (1412هـ- 1992م). أسباب نزول القرآن. تحقيق: عصام الحميدان. الدمام: دار الإصلاح، ص4

11 الزركشي، البرهان، (22/1).

2. تاريخ سورة النساء والأحوال السائدة عند نزولها وأثرها في استنباط الهدايات

1.2. تأريخ نزول سورة النساء

أولاً: ترتيب نزول سورة النساء

نزلت سورة النساء بالمدينة، بعد سورة الممتحنة، ونزلت بعدها سورة الزلزلة؛ فعن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: (أَنْزَلَ بِالْمَدِينَةِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، ثُمَّ الْأَنْفَالَ، ثُمَّ آلَ عِمْرَانَ، ثُمَّ الْأَحْزَابَ، ثُمَّ الْمُمْتَحِنَةَ، ثُمَّ النِّسَاءَ ثُمَّ إِذَا زُلْزِلَتِ ..)[12]. ذكر ابن عاشور بعد أن أورد عدداً من الادلة أَنَّ نُزُولَ سُورَةِ النِّسَاءِ كَانَ فِي السَنَةِ السَابعة من الهجرة، وذكر غيره أن نزولها كان في ما بين صلح الحديبية في السنة السادسة من الهجرة وغزوة تبوك، وذُكر أيضاً أنها نزلت في السنة الرابعة.

وأكد بعضهم أن نزولها كان قبل السنة الثامنة؛ لما ورد عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهما أن غيلان بن سلمة الثقفي لما أسلم كان عنده عشر نسوة فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يختار منهن أربعًا[13]، وكان إسلامه عند فتح الطائف بلده سنة ثمان من الهجرة[14]. وجاء في ذلك عدد من الأقوال، إلا أنّ الأمر في معرفة تاريخ نزول السور ليس قطعياً، خاصة في السور الطوال، والتي نزلت آياتها متفرقة تمتد في عدة سنوات، وكذلك الشأن في سورة النساء؛

---

12 ابن الضريس. (1408 هـ- 1987م). فضائل القرآن. تحقيق: غزوة بدير. دمشق: دار الفكر، بَابٌ فِيمَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ بِمَكَّةَ، وَمَا نَزَلَ بِالْمَدِينَةِ حديث رقم 17، ص: 34؛ ابن حجر العسقلاني. (1994). الإصابة في تمييز الصحابة. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود. دار الكتب العلمية، (9/ 41).

13 عَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: أَسْلَمَ غَيْلَانُ بْنُ سَلَمَةَ وَتَحْتَهُ عَشْرُ نِسْوَةٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (خُذْ مِنْهُنَّ أَرْبَعًا) سنن ابن ماجه أَبْوَابُ النِّكَاحِ، بَابُ الرَّجُلِ يُسْلِمُ وَعِنْدَهُ أَكْثَرُ مِنْ أَرْبَعِ نِسْوَةٍ، 1953.

14 ابن عاشور، محمد الطاهر. (1984م). التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر (4/ 212)؛ مناع القطان. (1422هـ- 2001م). تاريخ التشريع الإسلامي. مكتبة وهبة، ص: 59؛ التويجزي، جعفر شرف الدين. الموسوعة القرآنية خصائص السور. تحقيق: عبد العزيز بن عثمان. دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، (2/ 119).

نزل الكثير منها في أوائل العهد المدني بعد الهجرة، ومنها ما نزل في السنة السادسة وفي السنة الثامنة كذلك، ويتبين مما سبق أن نزول آيات سورة النساء قد يكون امتداده من بعد غزوة أحد في السنة الثالثة من الهجرة, إلى السنة الثامنة من الهجرة.

ثانياً: ما نزل بمكة وما نزل بالمدينة

أجمع العلماء على أنها مدنية إلا آية واحدة منها فيها قولان. قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: مَدَنِيَّةٌ إِلَّا آيَةً وَاحِدَةً نَزَلَتْ بِمَكَّةَ عَامَ الْفَتْحِ فِي عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ الْحَجَبِيِّ وَهِيَ قَوْله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمانات إِلى أَهْلِها) [النساء: 58] [15]، نزلت بمكة يوم الفتح، وذهب بعضهم إلى أَنَّ كُل السُّورَةِ مَكِّيَّةٌ لِمَا وَرَدَ فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ قِصَّةِ مِفْتَاحِ الْكَعْبَةِ، وقال السيوطي: (زَعَمَ النَّحَّاسُ أَنَّهَا مَكِّيَّةٌ مُسْتَنِدًا إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ) الآية نَزَلَتْ بِمَكَّةَ اتِّفَاقًا فِي شَأْنِ مِفْتَاحِ الْكَعْبَةِ وَذَلِكَ مُسْتَنَدٌ وَاهٍ لِأَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْ نُزُولِ آيَةٍ أَوْ آيَاتٍ مِنْ سُورَةٍ طَوِيلَةٍ نَزَلَ مُعْظَمُهَا بِالْمَدِينَةِ أَنْ تَكُونَ مَكِّيَّةً خُصُوصًا أَنَّ الْأَرْجَحَ أَنَّ مَا نَزَلَ بَعْدَ الْهِجْرَةِ مَدَنِيٌّ وَمَنْ رَاجَعَ أَسْبَابَ نُزُولِ آياتها عرف الرَّدَّ عَلَيْهِ وَمِمَّا يَرُدُّ عَلَيْهِ أَيْضًا مَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ مَا نَزَلَتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ وَدُخُولُهَا عَلَيْهِ كَانَ بَعْدَ الْهِجْرَةِ اتِّفَاقًا)[16]. كما أَنَّ فِي بَعْضَ الرِّوَايَاتِ فِي وَاقِعَةِ الْمِفْتَاحِ أَنَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ الْآيَةَ مُحْتَجًّا، وَمُبَيِّنًا لِلْحُكْمِ فِيهَا وليس لأن ذلك وقت نزولها عليه صلى الله عليه وسلم[17]. وقد ذُكر أنّ كل آيات السورة (مَدَنِيَّة إِلَّا آيَتَيْنِ الأولى (إِن الله يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَات إِلَى أَهلهَا) نزلت على النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فِي الطّواف فِي شَأْن مِفْتَاح الْكَعْبَة ليَرُدهُ إِلَى بني شيبَة، وَالثَّانِية (ويستفتونك فِي النِّسَاء) نزلت بِمَكَّة فِي سُؤال جَابر بن عبد الله الْأنْصَارِيّ)[18]. ويتبين أن السورة جميعها

15 القرطبي. تفسير القرطبي. (5/ 1).

16 السيوطي. (1394هـ- 1974م). الإتقان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل. الهيئة المصرية العامة للكتاب، (1/ 47).

17 انظر: محمد رشيد رضا. (1990 م). تفسير المنار. الهيئة المصرية العامة للكتاب، التوقيف على مهمات المناوي، عالم الكتب –القاهرة (4/ 262).

18 الكرمي. قلائد المرجان. تحقيق: سامي عطا حسن. الكويت: دار القرآن الكريم، ص: 82.

مدنية باعتبار نزولها بعد الهجرة، ومما يدل على مدنية سورة النساء أيضاً ما تضمنته من المميزات التي يتسم بها القرآن المدني من طول المقاطع والآيات، والبيان في العبادات، والمعاملات، والحدود، ونظام الأسرة، والمواريث، والجهاد، والصلات الاجتماعية، والعلاقات الدولية في السلم والحرب، وقواعد الحكم، ومسائل التشريع. ومخاطبة أهل الكتاب وبيان ضلالهم عن الحق، والكشف عن سلوك المنافقين، وتحليل نفسيتهم، وبيان خطرهم على الدين.

ثالثاً: ما نزل صيفا وما نزل شتاءً

ورد في آية الكلالة أنها نزلت صيفاً لقول رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ: (أَلَا تَكْفِيكَ آيَةُ الصَّيْفِ الَّتِي فِي آخِرِ سُورَةِ النِّسَاءِ)[19]. و(قَالَ الْوَاحِدِيُّ: أَنْزَلَ اللَّهُ فِي الْكَلَالَةِ آيَتَيْنِ: إِحْدَاهُمَا فِي الشِّتَاءِ وَهِيَ الَّتِي فِي أَوَّلِ النِّسَاءِ وَالْأُخْرَى فِي الصَّيْفِ وَهِيَ الَّتِي فِي آخِرِهَا)[20].

رابعاً: أول ما نزل وآخر ما نزل

قيل إنّ ابتداء نزول السورة كان قبل فتح مكة لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَما لَكُمْ لَا تُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَالنِّساءِ وَالْوِلْدانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْ هذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُها) [النِّسَاء: 75] يَعْنِي مَكَّةَ. وطَالَتْ فترة نُزُولِهَا؛ إذ فيها جِدَالٌ مَعَ النَّصَارَى مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أن نزولها امتد إلى وقت مُخَالَطَةَ الْمُسْلِمِينَ لِلنَّصَارَى بِسَبَبِ انتشار الْإِسْلَامِ فِي مناطق الْحِجَازِ. وَقَدْ عُدَّتِ الثَّالِثَةُ وَالتِّسْعِينَ مِنَ السُّوَرِ[21]. وقيل إنّ آية الكلالة هي آخر ما نزل من القرآن فقد رَوَى الشيخان عَنِ البَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ خَاتِمَةُ سُورَةِ النِّسَاءِ: (يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الكَلاَلَةِ) [النساء: 176])[22] وحُمِلَتْ الآخرية هنا في قول البراء على أنها مقيدة بما يتعلق بالمواريث، وقيل: آخر ما نزل آية: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا

19 مسلم، صحيح مسلم كِتَابُ الطَّلَاقِ، بَابُ مِيرَاثِ الْكَلَالَةِ، 1617.

20 السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (1/ 86).

21 انظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير. (4/ 212).

22 البخاري. صحيح البخاري، كِتَابُ الفَرَائِضِ، بَابُ (يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الكَلاَلَةِ) 6744.

فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) في حديث مُغِيرَةُ بْنُ النُّعْمَانِ، قَالَ: (سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ، قَالَ: آيَةٌ اخْتَلَفَ فِيهَا أَهْلُ الكُوفَةِ، فَرَحَلْتُ فِيهَا إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَسَأَلْتُهُ عَنْهَا، فَقَالَ: " نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ) [النساء: 93] هِيَ آخِرُ مَا نَزَلَ، وَمَا نَسَخَهَا شَيْءٌ)[23] " والتعبير بقوله: وما نسخها شيء، يدل على أنها آخر ما نزل في حكم قتل المؤمن عمدًا[24]. وقيل من أول ما نزل في الأشربة: آية البقرة: (يَسْأَلونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ) ثم آية النساء: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ) [النساء: 43] [25]

2.2. الأحوال السائدة عند نزول سورة النساء

يمكن تقسيم الأحوال السائدة عند نزول سورة النساء لتشمل الجانب العقدي والتعبدي، والجانب الأخلاقي، وجانب المعاملات المالية، وجانب المرأة والأسرة، وحال النبي صلى الله عليه وسلم والمجتمع المسلم ومواقف المتربصين منه. ويتناول هذا المبحث بعضاً من الأحوال السائدة كنموذج.

كانت المجموعة المسلمة التي تكونت في بداية الإسلام تعيش **حياة المجتمع الجاهلي**، الذي وصفه الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه بقوله: (كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، " فَدَعَانَا إِلَى اللهِ لِنُوَحِّدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ

23 البخاري. صحيح البخاري، كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ) [النساء: 93] .4590

24 السيوطي. الإتقان في علوم القرآن. (1/ 105).

25 المرجع السابق (1/ 99).

الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ)[26].

فنزلت سورة النساء في مجتمع ينحدر من تلك البيئة، التي اتسمت **بالفوضى الاقتصادية والاجتماعية، والأسرية وفي كل نواحي الحياة**؛ لذلك نجد أن السورة (تعمل بجد وجهد في محو ملامح المجتمع الجاهلي – الذي منه التقطت المجموعة المسلمة – ونبذ رواسبه ؛ وفي تكييف ملامح المجتمع المسلم، وتطهيره من رواسب الجاهلية فيه، وجلاء شخصيته الخاصة . كما تعمل بجد وجهد في استجاشته للدفاع عن كينونته المميزة، وذلك ببيان طبيعة المنهج الذي منه انبثقت هذه الكينونة المميزة، والتعريف بأعدائه الراصدين له من حوله – من المشركين، وأهل الكتاب، وبخاصة اليهود – وأعدائه المتميعين فيه – من ضعاف الإيمان والمنافقين – وكشف وسائلهم وحيلهم ومكايدهم، وبيان فساد تصوراتهم ومناهجهم وطرائقهم . مع وضع الأنظمة، والتشريعات التي تنظم هذا كله وتحدده)[27]

(اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ سُورَةَ النِّسَاءِ نَزَلَتْ بَعْدَ الْبَقَرَةِ، وَالْجُمْهُورُ على أنها نَزَلَتْ بَعْدَ آلِ عِمْرَانَ، وآلَ عِمْرَانَ نَزَلَتْ فِي خِلَالِ سَنَةِ ثَلَاثٍ أَيْ بَعْدَ وَقْعَةِ أُحُدٍ)[28]. فنزلت سورة النساء بعد الهجرة وفي أوائل قرار المسلمين بالمدينة، عند بداية تأسيس الدولة؛ والأحوال العامة لنزول سورة النساء هي أحوال **إرساء قواعد للمجتمع المسلم؛ لبنائه ومن ثم الحفاظ عليه،** وشكلت الأحكام والشرائع التي جاءت بها السورة تلك الدعامات التي يحتاجها بناء المجتمع الناشيء وثباته، وأشارت في مطلعها إلى أن أصل الخلق كَانَ من نفس واحدة، مما يرسخ مبادئ التراحم المجتمعي في النفوس، ثمّ تناولت السورة جميع ما يجب تجاه علاقات القرابة، والمحارم، والنسب والمصاهرة، قال السيوطي: (وَأَمَّا سُورَةُ النِّسَاءِ فَتَضَمَّنَتْ أَحْكَامَ الْأَسْبَابِ الَّتِي بَيْنَ النَّاسِ وَهِيَ نَوْعَانِ: مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ وَمَقْدُورَةٌ لَهُمْ كَالنَّسَبِ وَالصِّهْرِ وَلِهَذَا افْتَتَحَتْ بِقَوْلِهِ: (اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا) ثُمَّ قَالَ: (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ) فَانْظُرْ هَذِهِ الْمُنَاسَبَةَ الْعَجِيبَةَ فِي الِافْتِتَاحِ وَبَرَاعَةِ الِاسْتِهْلَالِ حَيْثُ

26 أخرجه احمد في مسنده، مُسْنَدُ أَهْلِ الْبَيْتِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم أَجْمَعِينَ، حَدِيثُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِب، 1740.

27 سيد قطب.(1991). في ظلال القرآن. بيروت: دار الشروق، الطبعة: السابعة عشر (1/ 555).

28 انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير. (4/ 211).

تَضَمَّنَتِ الْآيَةُ الْمُفْتَتَحُ بِهَا مَا أَكْثَرُ السُّورَةِ فِي أَحْكَامِهِ مِنْ نِكَاحِ النِّسَاءِ وَمُحَرَّمَاتِهِ وَالْمَوَارِيثِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْأَرْحَامِ وَأَنَّ ابْتِدَاءَ هَذَا الْأَمْرِ كَانَ بِخَلْقِ آدَمَ ثُمَّ خَلْقِ زَوْجِهِ مِنْهُ ثُمَّ بَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا وَنِسَاءً فِي غَايَةِ الْكَثْرَةِ)[29]

ومن الأحوال السائدة **انعدام مفهوم التقوى** قال تعالى: (اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ) (وجعل سبباً للتقوى تذكاره تعالى إياهم بأنه أوجدهم وأنشأهم من نفس واحدة . ومن كان قادراً على مثل هذا الإيجاد الغريب الصنع وإعدام هذه الأشكال والنفع والضر فهو جدير بأنْ يتقي)[30] . وعلى إثر انعدام التقوى يقوم **العدوان** بسبب القبلية، والطبقية، والتعالي، وحكم الأقوى ؛ ثمّ غفلة الناس عن وحدة أصل خلقتهم الذي يستدعي الرحمة الإنسانية بينهم، قال تعالى: (اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ من نفس واحدة) فنزلت آيات السورة تقرر وحدة أصل البشرية _وعلى هذا فلا تعالي ولا عدوان_، وتنشر مفاهيم تقوى الله، والعدل المطلق بين الناس. ومن وسائل تحقيق تقوى الله التي دعت لها السورة إنصاف حقوق النساء، والأطفال، والأيتام. ويعد إصلاح شؤون الضعفاء ورعايتهم، والمرأة خاصةً، مقياساً لسلامة اعتقاد وتقوى العبد، وفي ذلك يقول البقاعي إنها سميت "سورة النساء" (لأن بالاتقاء فيهن تتحقق العفة والعدل الذي لبابه التوحيد)[31].

ومن ألوان **هضم الحقوق** السائدة **أكل مهور النساء** بغير طيب نفس منهنّ. قال تعالى: (وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا) [النساء: 4]، كانت من عادات العرب أن يتزوج الرجل بلا مهر، أو أن يأكل ولي المرأة مهرها، أو ما يفعله المتشاغرون من تزويج امرأة بأخرى، والأمر بإيتاء النساء صدقاتهن نحلة يتناول هَذِهِ الصُّوَر كُلَّهَا[32] . ومن **ألوان الفساد** التي اعتادها المجتمع الجاهلي حل زوجات الآباء وأن يرث الابن امرأة أبيه، وجواز عضل المرأة من أجل مالها أو أي منافع أخرى، قال

29 السيوطي. الإتقان في علوم القرآن. (3/ 382).

30 أبو حيان. (1999). البحر المحيط في التفسير. تحقيق: صدقي محمد جميل. بيروت: دار الفكر، (3/ 492).

31 البقاعي.مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور. (2/ 89).

32 انظر: أبوحيان. البحر المحيط في التفسير. (3/ 510).

تعالى: (لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا)، (وإنما ذلك أنهن في الجاهلية كانت إحداهنّ إذا مات زوجها كان ابنه أو قريبه أولى بها من غيره ومنها بنفسها، إن شاء نكحها وإن شاء عضلها فمنعها من غيره ولم يزوّجها حتى تموت، فحرّم الله تعالى ذلك على عباده، وحظر عليهم نكاح حلائل آبائهم، ونهاهم عن عضلهن عن النكاح)[33]. فنزلت آيات السورة بتكريم النساء، واستغلالهنّ بأنفسنّ وأموالهنّ، وأوجبت إعطاء المهور والميراث والمعاشرة بالمعروف.

ولما كانت **معاناة المجتمعات من قسوة وغلظة الجاهلية**، وكانت الحاجة إلى تعزيز مفاهيم الرحمة والوحدة ونبذ الفرقة والاختلاف (نَبَّهَ تَعَالَى فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ عَلَى إِيجَادِ الْأَصْلِ، وَتَفَرُّعِ الْعَالَمِ الْإِنْسَانِيِّ مِنْهُ لِيَحُثَّ عَلَى التَّوَافُقِ وَالتَّوَادِّ وَالتَّعَاطُفِ وعدم الِاخْتِلَافِ)[34] . فمن سمات المجتمعات المفككة **انعدام مفاهيم التراحم والتعاون، والتسامح**؛ فتعمل السورة على ترسيخ مفاهيم الفضل، والإحسان للمجتمع عامة، ولذي القربى خاصة؛ قال تعالى: (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) (وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه ...) (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ...) (يوصيكم الله في أولادكم ...) فتهدي السورة إلى تقوية الروابط الاجتماعية في الأسرة الواحدة، وبين المسلمين عامة وتؤكد على أواصر الأخوة والتكاتف المجتمعي، ومما يفيده أضافت أموال اليتامى إلى الأوصياء في قوله تعالى: (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم ...) فتؤكد على مفهوم وحدة المجتمع من خلال رعاية الأيتام القُصر من قبل أقاربهم وأرحامهم. وتهدي السورة إلى النظر بعين الرحمة إلى خلق الله، خاصة الأرحام منهم، وأن ذلك من صميم وحقيقة تقوى الله، وهو الهدف الشامل من الإسلام: قال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) [الأنبياء: 107]، وفي الحديث (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء، والرحم شجنة من الرحمن، من وصلها، وصلته، ومن قطعها، بتته)[35].

---

33 الطبري. (1422 هـ- 2001م). جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي. دار هجر، (8/ 104).

34 أبو حيان. البحر المحيط في التفسير. (3/ 492).

35 ابن حنبل. مسند أحمد. مخرجا 6494، والشُّجْنَةُ الشَّيْءُ الْمُلْتَزِقُ.

وفي إطار ذلك تُبين السورة مدى عظم رحمة الخالق جل وعلا بعباده؛ لتتجلى في نفوس العباد معاني الرحمة العامة والخاصة بوضوح حتى يسيروا عليها في معاملاتهم، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (إِنَّ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ لِخَمْسَ آيَاتٍ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِيَ بِهَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا) [النساء: 40]، (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا) [النساء: 31]، (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) [النساء: 48]، (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا)، (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا) [النساء: 110])[36]. و(قال ابن عباس: ثماني آيات نزلت في سورة النساء هي خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت أولاهنّ (يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (26)) والثانية (وَاللهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا (27)) والثالثة (يُرِيدُ اللهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا (28)) ثم ذكر الخمس آيات التي ذكرت قبلًا في حديث ابن مسعود)[37].

3.2. أثر الأحوال السائدة في استنباط الهدايات القرآنية من خلال سورة النساء

أولاً: تفيد في إدراك وجوه بلاغة القرآن الكريم وأسلوب نظمه ودلالات مفرداته: من أبرز الأحوال السائدة في جانب العقيدة؛ **انشغال البشرية عن معرفة خالقها وعبادته وتوحيده** سبحانه، فجاء في مطلع السورة قوله تعالى: (يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ)، (لينبه بذلك على أنّ أصل الجنس الإنساني كان عابداً لله مفرده بالتوحيد والتقوى، طائعاً له،

36 البيهقي. (1413هـ- 1993م. الأسماء والصفات. ت: عبد الله بن محمد الحاشدي. جدة: مكتبة السوادي، جدة. في ذكر السبع الطوال في فصل في فضائل السور والآيات 2202؛ الحاكم. (1411هـ- 1990م. المستدرك على الصحيحين. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمي، كِتَابُ التَّفْسِيرِ تَفْسِيرُ سُورَةِ النِّسَاءِ 3194 (وقال هذا إسناد صحيح ووافقه الذهبي (التلخيص 3194)، وقال عنه الهيثمي: رجاله رجال الصحيح).

37 البقاعي. (1408هـ- 1987م). مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور. الرياض: مكتبة المعارف/ (2/ 89).

فكذلك ينبغي أن تكون فروعه التي نشأت منه. فنادى تعالى: دعاء عامًّا للناس، وأمرهم بالتقوى التي هي ملاك الأمر)[38]، وقد تضمنت سورة النساء أكثر من أربعين اسما لله تعالى وصفة؛ لتعريف الناس بخالقهم ليعبدوه ويتقوه سبحانه وتعالى؛ (والأغلب أنه إذا كان الخطاب والنداء بيا أيها الناس وكان للكفرة فقط، أو لهم مع غيرهم أعقب بدلائل الوحدانية والربوبية؛ لأنهم غير عارفين بالله، فنبهوا على الفكر في ذلك لأن يعرفوا)[39]. وبالموازنة بين الأحوال السائدة المتمثلة في غفلة البشرية عن ربها، ومعرفته سبحانه، ولفظ الآية (يا أيها الناس)، واستخدام لفظ (اتقوا ربكم) الذي يشير إلى توحيد الربوبية الذي تشترك فيه البشرية مسلمهم وكافرهم، والعدول عن (اتقوا الله)؛ ندرك من ذلك وجوهاً في بلاغة نظم القرآن الكريم ودلالة ألفاظه؛ ونتوصل من ذلك إلى أن السورة تهدي في مطلعها إلى توحيد الربوبية، الذي يتناسب مع النداء العام (يا أيها الناس اتقوا ربكم). ويشير ذلك إلى أهمية تقديم الدعوة لغير المسلمين وتعريفهم بخالقهم عن طريق التفكر في خلقه.

ثانياً: معرفة الحكمة من التشريع واستصحاب ذلك عند الاستنباط: من الأحوال السائدة انعدام مفهوم لعبادة الله تعالى من خلال التكاليف الشرعية والثواب والعقاب، والحساب والجزاء عليها يوم القيامة، وطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ومعصية الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، و(اعلم أن هذه السورة مشتملة على أنواع كثيرة من التكاليف، وذلك لأنه تعالى أمر الناس في أول هذه السورة بالتعطف على الأولاد والنساء والأيتام، والرأفة بهم وإيصال حقوقهم إليهم وحفظ أموالهم عليهم، وبهذا المعنى ختمت السورة، وهو قوله: (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) وذكر في أثناء هذه السورة أنواعا أخر من التكاليف، وهي الأمر بالطهارة والصلاة وقتال المشركين ولما كانت هذه التكاليف شاقة على النفوس لثقلها على الطباع، لا جرم افتتح السورة بالعلة التي لأجلها يجب حمل هذه التكاليف الشاقة، وهي تقوى الرب الذي خلقنا وَالْإِلَهِ الَّذِي أَوْجَدَنَا)[40]. ولما كانت أمور التواصل والاجتماع

38 أبو حيان. البحر المحيط في التفسير، (3/ 492).

39 المرجع السابق، (3/ 492).

40 الرازي. (1999). التفسير الكبير. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (9/ 475).

تكاليف شرعية ينفق فيها المال، والوقت، والجهد البدني، وقد تشق على النفس ـخاصة حال الخصومات بين الجماعات، والشقاق بين الأزواج، وبين الأسر بسبب الميراث ـ فرض الله على العباد تقواه التي بها تتكون مخافة الله ورقابة العبد الذاتية لأفعاله، فتكون دافعا للقيام بتلك التكاليف الشرعية التي بها تتحقق مصلحة العبد في معاشه ومعاده، ثمّ جعل الله لهذه التكاليف الأجر العظيم؛ فلا أحب للنفس من طول عمر في سعة رزق؛ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ)[41]، و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (خَلَقَ اللَّهُ الخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ لَهُ: مَهْ، قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قَالَ: أَلاَ تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ، قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَذَاكِ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ) [محمد: 22][42]. وبمعرفة الأحوال السائدة واستصحاب الحكمة من التشريع، عند الاستنباط نجد أن السورة تهدي إلى ما به تتحقق مصالح العباد ـفي معاشهم ومعادهمـ في التواصل والاجتماع فلا مجال لسعادة الفرد والمجتمع في ظل التفرق والهجر والشتات. وعلى الرغم من إدراك المسلمين لخطورة التفرق والاختلاف، يصعب أحياناً تنزيل النصوص الشرعية التي تدعو إلى التوحد والائتلاف إلى واقع معاش في حياة الأمة، أفراداً وجماعات، ويأتي هنا دور التقوى التي دعت لها السورة، والأحاديث النبوية، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (المؤمن الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم، أعظم أجرا من الذي لا يخالطهم، ولا يصبر على أذاهم)[43]، وقال ابن تيمية: (وَجِمَاعُ الْخُلُقِ الْحَسَنِ مَعَ النَّاسِ: أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَك بِالسَّلَامِ وَالْإِكْرَامِ وَالدُّعَاءِ لَهُ وَالِاسْتِغْفَارِ

41 البخاري. صحيح البخاري بَابُ مَنْ أَحَبَّ البَسْطَ فِي الرِّزْقِ 2067.

42 البخاري. صحيح البخاري بَابُ {وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ}، 4830.

43 ابن حنبل. مسند أحمد. 5022.

وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَالزِّيَارَةِ لَهُ وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ مِنْ التَّعْلِيمِ وَالْمَنْفَعَةِ وَالْمَالِ وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ فِي دَمٍ أَوْ مَالٍ أَوْ عِرْضٍ)[44].

ثالثاً: تعين على التصور الكلي الذي يفيد في استنباط الهدايات الكلية من السورة: يتضح من آيات السورة أنّ المرأة كانت في حاجة للحماية من الاضطهاد، والإكراه والعنف السائد في المجتمع، _كما في قصة خولة بنت ثعلبة وغيرها[45]_ والذي يشجع عليه الوضع العام لتلك البيئة، إما بسبب الأخلاق السيئة، أو ظواهر الزنا والبغاء قال تعالى: (وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ)[النور: 33]، أوالعادات الاجتماعية، أو شرب الخمور المذهبة للعقل، أو غيرها من الأمور التي تقع في المجتمعات التي لا تقوم فيها شرائع الإسلام عادةً؛ كالذي تتعرض له المرأة اليوم في بعض المجتمعات من أنواع الاضطهاد والتحرش بسبب تتعدد العلاقات أوالتبرج أوالاختلاط ؛ حيث يتم اجبار النساء في أماكن كثيرة على البغاء، واستثمارهنّ في شتى صور الإباحية، كما أنّ هناك ارتفاع في معدلات قتل النساء وتعرضهنّ للاعتداء بواسطة أزواجهن أوأصدقائهن[46]،

---

44 ابن تيمية. (1416هـ- 1995م). مجموع الفتاوى. تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم.مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، (10/ 658).

(45) قالت خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ: فِيَّ وَاللَّهِ وَفِي أَوْسِ بْنِ الصَّامِتِ أَنْزَلَ اللَّهُ صَدْرَ سُورَةِ الْمُجَادَلَةِ، قَالَتْ: كُنْتُ عِنْدَهُ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ سَاءَ خُلُقُهُ، قَالَتْ: فَدَخَلَ عَلَيَّ يَوْمًا فَرَاجَعْتُهُ بِشَيْءٍ، فَغَضِبَ فَقَالَ: أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي. قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجَ فَجَلَسَ فِي نَادِي قَوْمِهِ سَاعَةً، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيَّ فَإِذَا هُوَ يُرِيدُنِي عَنْ نَفْسِي قَالَتْ: قُلْتُ كَلَّا، وَالَّذِي نَفْسُ خُوَيْلَةَ بِيَدِهِ لَا تَخْلُصُ إِلَيَّ، وَقَدْ قُلْتَ مَا قُلْتَ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فِينَا بِحُكْمِهِ، قالت: فواثبني، فامتنعت مِنْهُ فَغَلَبْتُهُ بِمَا تَغْلِبُ بِهِ الْمَرْأَةُ الشَّيْخَ الضَّعِيفَ فَأَلْقَيْتُهُ عَنِّي، قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى بَعْضِ جَارَاتِي فَاسْتَعَرْتُ مِنْهَا ثِيَابًا، ثُمَّ خَرَجْتُ حتى جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم فَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَذَكَرْتُ لَهُ مَا لَقِيتُ مِنْهُ وَجَعَلْتُ أَشْكُو إِلَيْهِ مَا أَلْقَى مِنْ سُوءِ خُلُقِهِ تفسير ابن كثير (8/ 67)، أخرجه أحمد في مسنده، مُسْنَدِ الْقَبَائِلِ، حَدِيثُ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ، 27319

46 تُشير الإحصائيات في مجتمعات لا تقوم على شرائع الإسلام إلى ارتفاع معدلات قتل النساء بواسطة أزواجهن أوأصدقائهن

http://www.ncjrs.gov/pdffiles1/nij/199701_sectionI.pdf % 50 -40 ممن يقتل من النساء ويكون القاتل هو شريكها (زوج او صديق)

http://www.ojp.usdoj.gov/nij/topics/.../measuring.htm سنويا حوالي 3 ملايين امرأة يتعرضن لاعتداء من زوج او صديق

والله تعالى يقول في سورة النساء : (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) [النساء: 19]، وقال تعالى: (وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ) [النساء: 25]، وقال تعالى: (وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا) [النساء: 34]، وقال تعالى: (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا) [النساء: 35] . ويستفاد من الأحوال السائدة هنا أن هدايات الآيات في السورة تتجه نحو تهيئة الوضع الآمن للمرأة والزوجة، حتى في حال نشوزها وسوء خلقها، وتعمل على استقرار الأسرة، وحمايتها من التفكك، فوضعت الآيات عدداً من الضوابط للحد من العنف بين الأزواج وللمعاشرة بالمعروف، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه أسوة للمسلمين في ممازحته لزوجاته وملاطفتهنّ، وأمر صلى الله عليه وسلم الرجال بالترفق والحلم والأناة في معاملة الزوجات في قوله صلى الله عليه وسلم: (وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا)[47]. نزلت الآيات والمرأة تواجه أنواع من الاضطهاد، والعنف، والإهانة، وغمط الحقوق؛ فجاءت السورة بتكريمها وصيانة حقوقها، وحفظ زوجها وأسرتها. وبذلك شكلت السورة الكريمة ضماناً اجتماعياً للمرأة، يكفل لها معيشة أسرية مستقرة منذ بدايتها، وحتى نهايتها، بإكرامها في كبرها بما فرضه الإسلام على الأبناء من برها، حتى لا تعاني النساء الوحدة والانعزال بعد تقدم أعمارهنّ. الأمر الذي تعانيه غالب النساء اليوم في المجتمعات التي لا تقوم على شرائع الإسلام[48]. وتهدي السورة إلى حماية المجتمع والأسرة من

http://www.nj.gov/dca/dow/publications/dvfactsheet06.pdf

% 22.1 من النساء تعرضن لاعتداء من زوج او صديق

http://www.ncjrs.gov/txtfiles1/nij/181867.txt،

(نقلاً عن http://www.shobohat.com/vb)

47 البخاري.صحيح البخاري، كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ الوَصَاةِ بِالنِّسَاءِ، 5186 .

48 تعاني النساء في مجتمعات لا تقوم على ضوابط الإسلام من وحدة وإنعزال بعد تقدم أعمارهنّ، وتشير إحصائيات إلى أن نصف عدد النساء ممن تجاوزن الـ 75 سنة يعشن وحدهن

التفكك، عن طريق أساليب محكمة ومتنوعة باختيار المواقف المناسبة، بحسب الأحوال، وذلك أنّ بعض الأحوال يتطلب الرفق، واللين قال تعالى: (وعاشروهن بالمعروف)، وبعضها يحتاج إلى المواقف الرصينة القوية قال تعالى: (فعظوهن واهجروهن في المضاجع)، وبعضها يتطلب الزجر قال تعالى: (واضربوهن)، وبعضها يتطلب العفو، والتسامح، والصلح قال تعالى: (إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما)، (والصلح خير). كما تهدي السورة إلى أن يُكفل للمرأة سبل العيش الكريم قال تعالى: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ) [النساء: 34]، فحملت آيات السورة عن المرأة هموم تحصيل الرزق، الأمر الذي تعانية المرأة في المجتمعات غير الإسلامية اليوم فهي في الغالب تبدأ في وقت مبكر بالاستغلال عن أسرتها ولا يتكفل بها أحد لا أخ ولا أب ولا ذي قرابة؛ وتضطر للعمل على توفير عيشها حتى وإن لم تجد سوى الوظائف ذات الأجور المنخفضة والمكانة المتدنية. حيث أشارت إحصائيات إلى أنّ النسب العالية في وظائف الخدم وعمال التنظيف هم النساء، وكذلك وظائف السكرتارية والاستقبال، والنوادل في المطاعم، أما أكثر المناصب القيادية العليا يشغلها رجال[49].

رابعاً: تفيد في فهم المعنى، وبالتالي دقة استنباط الهدايات منه: من أبرز الأحوال السائدة تفكك المجتمعات لذلك (نبه تعالى في أول هذه السورة على إيجاد الأصل، وتفرَّع العالم الإنساني منه ليحث على التوافق والتواد والتعاطف وعدم الاختلاف)[50]، يقول البقاعي إنه لما (كان السبب الأعظم في الاجتماع والتواصل _عادة_ الأرحام العاطفة التي مدارها النساء، سميت "سورة

---

http://www.census.gov/Press-Release/www/releases/archives/facts_for_features_special_editions/001626.html (نقلاً عن http://www.shobohat.com/vb)

49 وضحت إحصائيات أنّ معظم ممن يعملن من النساء في المجتمعات غير الإسلامية يشغلنّ الوظائف ذات الأجور المنخفضة والمكانة المتدنية. وأن 97 % من المناصب القيادية العليا في أكبر الشركات يشغلها رجال. وأنّ % 89 من الخدم وعمال التنظيف هم النساء، و % 97 من وظائف السكرتارية تقوم بها النساء، و 93%من موظفات الاستقبال هم النساء، و % 76من المحاسبين في المحلات العامة هم النساء، و % 74من نوادل المطاعم هم النساء http://www.dol.gov/wb/factsheets/20lead2007.htm

(نقلاً عن http://www.shobohat.com/vb)

50 أبوحيان. البحر المحيط في التفسير. (3/ 492).

النساء" لذلك) [51]. والنساء رمز الاجتماع والأرحام والسكينة والأمان، كما في حديث بَدْءِ الْخَلْقِ: (وَأُسْكِنَ آدَمُ الْجَنَّةَ فَكَانَ يَمْشِي فِيهَا وَحْشِيًّا لَيْسَ لَهُ زَوْجٌ يَسْكُنُ إِلَيْهَا، فَنَامَ نَوْمَةً فَاسْتَيْقَظَ، وَإِذَا عِنْدَ رَأْسِهِ امْرَأَةٌ قَاعِدَةٌ خَلَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ضِلْعِهِ، فَسَأَلَهَا: مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتِ: امْرَأَةٌ. قَالَ: وَلِمَ خُلِقْتِ؟ قَالَتْ: تَسْكُنُ إِلَيَّ)[52]. فأفادت معرفة الأحوال السائدة _من تفكك المجتمعات_ ربطاً دقيقاً بين نواحٍ عقدية، ونواحٍ اجتماعية، وأوضحت العلة من تسمية السورة "سورة النساء" ومن ذكر التقوى والأصل الواحد في قوله تعالى: (الذي خلقكم مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) [النساء: 1]، فتهدي السورة إلى تحقيق التقوى بالامتثال لأمر الله في شؤون التواصل والتراحم بين العباد عن تواد وتعاطف، وتعزيز ترابط المجتمع والمسؤولية الجماعية فيه. والبعد عن التشاحن والتباغض، الذي وضعه النبي صلى الله عليه وسلم عن المسلمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، ... وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، ... اتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ)[53]. وتهدي السورة إلى التواضع ولين الجانب للناس من منطلق وحدة أصل خلقتهم الذي يستدعي الرحمة الإنسانية بينهم، وإلى منهجية للتعامل مع الآخرين تُبنى على تقوى الله (فليتقوا الله)، للمحافظة على كيان الأسر والمجتمعات.

خامساً: تفيد الأحوال السائدة في الموازنة مع الواقع المعاصر وفي معالجة قضايا الأمة الحالية: ومثال ذلك الأحوال السائدة فيما يخص مكر المنافقين واليهود وشقهم لصفوف المسلمين الذي عالجته السورة؛ يستفاد منها في استنباط هدايات السورة في معالجة معاناة المسلمين اليوم من عمل اليهود والمنافقين الدائم على تفتيت وحدة المسلمين. كذلك عند الموازنة بين حالة تفكك المجتمعات والتفرق والاختلاف الذي عالجته سورة النساء وبين سمة التفكك والاختلاف في الواقع المعاصر؛ يستفاد من ذلك في استنباط هدايات السورة التي تعالج هذا

51 البقاعي.مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور .(2/ 89).

52 البيهقي.الأسماء والصفات للبيهقي بَابُ بَدْءِ الْخَلْقِ، 820، والتوحيد لابن منده (1/ 213).

53 أبوداود. سنن أبي داود. (2/ 185).

الواقع. فتهدي السورة إلى الائتلاف والاجتماع على العقيدة السليمة، وتقوى الله وطاعته، (وَهَذَا التَّفْرِيقُ الَّذِي حَصَلَ مِنْ الْأُمَّةِ عُلَمَائِهَا وَمَشَايِخِهَا؛ وَأُمَرَائِهَا وَكُبَرَائِهَا هُوَ الَّذِي أَوْجَبَ تَسَلُّطَ الْأَعْدَاءِ عَلَيْهَا. وَذَلِكَ بِتَرْكِهِمْ الْعَمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى:(وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ)[المائدة: 14] . فَمَتَى تَرَكَ النَّاسُ بَعْضَ مَا أَمَرَهُمْ اللَّهُ بِهِ وَقَعَتْ بَيْنَهُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ وَإِذَا تَفَرَّقَ الْقَوْمُ فَسَدُوا وَهَلَكُوا وَإِذَا اجْتَمَعُوا صَلَحُوا وَمَلَكُوا؛ فَإِنَّ الْجَمَاعَةَ رَحْمَةٌ وَالْفُرْقَةَ عَذَابٌ. وَجِمَاعُ ذَلِكَ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) [آل عمران: 102] (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)[آل عمران: 103] إِلَى قَوْلِهِ: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[آل عمران: 104] فَمِنْ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ: الْأَمْرُ بالائتلاف وَالِاجْتِمَاعِ؛ وَالنَّهْيُ عَنْ الِاخْتِلَافِ وَالْفُرْقَةِ)[54]. ويستفاد من السورة الأسس العقدية في بناء المجتمع على الوحدة والائتلاف والمحافظة على الجماعة، التي هي جماعة المسلمين، المجتمعة على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم، والتي يتوفر فيها العلماء المقيمون لأحكام الإسلام، والمجتمعة على أمير، أوإمام شرعي تطيعه، ولا تخرج عليه، و التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث بلزومها، منها قوله صلى الله عليه وسلم : (تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ)[55]، وقوله صلى الله عليه وسلم (عَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ)[56]. وتهدي السورة إلى تثبيت المجتمع بدفع تَسَلُّطَ الْأَعْدَاءِ والمنافقين عنه عن طريق الحرص على وحدة المجتمع، ودفع ما يؤججونه من صراعات داخلية. فلزوم جماعة المسلمين على مستوى الأفراد والأسر والجماعات من المقومات الأساسية في سلامة الاعتقاد. وتهدي

(54) ابن تيمية. مجموع الفتاوى. (3/ 421).

55 أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الفِتَنِ، بَابٌ كَيْفَ الأَمْرُ إِذَا لَمْ تَكُنْ جَمَاعَةٌ،حديث رقم 7084

56 أخرجه أحمد في مسنده، مسند الكوفيين ،حديث النعمان بن بشير، حديث رقم 18450

السورة إلى أن تنأى الأفراد والجماعات بنفسها عن تحقيق المكاسب الشخصية، والظهور والعلو، وأهداف السلطة، والمصالح الدنيوية والتوجه نحو تقوى الله التي ترقى بجماعة المسلمين.

ومن الأحوال السائدة عدم وجود الضوابط التي تنظم الحياة الأسرية، واستحلال العلاقات بالنساء دون التكفل بأي واجبات تجاههن. كما يحدث في بعض البلدان غير الإسلامية اليوم ؛ حيث لا تترتب على العلاقات بين الرجال والنساء واجبات وحقوق بين الطرفين، ويفضل الرجال الانسحاب من المسؤولية المترتبة على هذه العلاقات، فأعداد كبيرة من الأسر تعولها الأم فقط دون وجود أب، ويقتل بالإجهاض أيضاً أعداد كبيرة من الأطفال[57]، والله تعالى يقول: (فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة)، (وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (20) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا) [النساء: 20، 21]، فنزلت آيات

57 بينت إحصائيات في مجتمعات لا تقوم على شرائع الإسلام اليوم أن أكثر من 10.4 مليون أسرة تعيلها الأم فقط (دون وجود أب)
http://www.census.gov/Press-Release/www/releases/archives/families_households/009842.html
ويقتل بالإجهاض أكثر من مليون طفل سنويا، و 42مليون جنين قتلوا بالإجهاض منذ عام 1973 إلى 2002
http://www.cdc.gov/mmwr/preview/mmwrhtml/ss5511a1.htm
وكشفت التقارير عن ارتفاع نسبة تعدد العلاقات خارج المفهوم الشرعي للحياة الزوجية حيث أن متوسط عدد النساء اللاتي تقيم علاقات مع الرجال الأجانب عنها هو سبع نساء، و 29 % من الرجال قد أقاموا علاقات مع أكثر من 15 امرأة في حياتهم http://www.cdc.gov/nchs/data/ad/ad384.pdf
وأظهرت بعض الدراسات أن 42% من الرجال اعترفوا بإقامة علاقة مع أكثر من امرأة في نفس الوقت http://news.bbc.co.uk/2/hi/uk_news/177333.stm وبينت دراسات أن % 78 :من النساء في يتعرض للتحرش من قبل الموظّفين في أماكن العمل
http://www.rehab.research.va.gov/jour/08/45/3/pdf/Street.pdf
وحوالي خمسين ألف امرأة وطفلة يتم استرقاقهن وإجبارهن على ممارسة البغاء
http://query.nytimes.com/gst/fullpag...57C0A9669C8B63
وأصبح استثمار النساء في شتى صور الإباحية صناعة رائجة حيث تجلب المليارات سنويا
http://www.reuters.com/article/latestCrisis/idUSN1265950
(نقلاً عن http://www.shobohat.com/vb)

سورة النساء تسمو بالعلاقات وترتقي بها من الشهوانية، وزواج المتعة، لنظام أسري له أسس تكفل الحقوق، وتبين الواجبات، قال تعالى: (الرجال قوامون على النساء)، ثم تسند لهذه الأسرة الدور الرئيس في بناء المجتمع وتضع آداب التعامل داخلها، وسبلاً لحل الخلافات ومعالجة المشكلات؛ وإدارة الأزمات قبل انفلاتها وحدوث الشقاق، وتقدم الإصلاح والائتلاف فيها على الفرقة والاختلاف _الشي الذي تدعو له السورة منذ مطلعها في المجتمع أجمعه وداخل الأسر وبين الأزواج_ قال تعالى: (إِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا) [النساء: 35]، وقال تعالى: (وَالصُّلْحُ خَيْرٌ) [النساء: 128] وقال تعالى: (لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) [النساء: 114].

سادساً: تفيد أحوال النزول في بيان المناسبات والربط بين المعاني: ومثال ذلك: أنه كان من الأحوال السائدة انتشار العلاقات خارج المفهوم السوي للأسرة والحياة الزوجية، قال تعالى: (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ) قال الرازي في تفسير هذه الآية: أي (إن خفتم في حق اليتامى فكونوا خائفين من الزنا، فانكحوا ما حل لكم من النساء وَلَا تَحُومُوا حَوْلَ الْمُحَرَّمَاتِ)[58]. فأشارت أحوال النزول المتمثلة في انتشار الزنا إلى المناسبة بين ذكر الخوف من الوقوع في حقوق اليتامى وقوله تعالى (مثنى وثلاث ورباع)، وهي إرشادهم إلى الخوف من الوقوع في الزنا، قال تعالى: (فانكحوا ما طاب لكم من النساء ...)، ولا تحوموا حول المحرمات، فتبينت المناسبة وازداد بذلك المعنى وضوحاً. وأشارت الآية إلى ما تواجه عواقبه المجتمعات غير المسلمة اليوم؛ حيث أدى التبرج والاختلاط في الدراسة والعمل والمرافق العامة وإباحت المسكرات إلى انتشار العلاقات المحرمة؛ وبالتالي ازدياد أعداد الإصابة بالأمراض التي لا يمكن شفاؤها، كما أدى ذلك أيضاً إلى تعرض

58 الرازي. التفسير الكبير. (9/ 485).

النساء للاعتداءات بصورة كبيرة[59]. فجاءت السورة بحفظ عفة الأسر والمجتمعات وطهارتها من مخاطر الإباحية، والعلاقات خارج إطار الزواج؛ قال تعالى: (فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ) [النساء: 3]، قال تعالى: (فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ) [النساء: 34]، وقال تعالى: (وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ) [النساء: 25]. وقال تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ ..) [النساء: 23] (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) [النساء: 24]، وقال تعالى: (وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ... ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ) [النساء: 25].

يتبين مما سبق دور معرفة الأحوال السائدة عند النزول وأثرها في استنباط الهدايات، وكيف أنها توصل إلى الهدايات التي قد لا تُفهم من ظاهر اللفظ، ويستأنس بها لتكون دليلًا على فهم معنى معين، وتؤدي إلى هدايات من مقتضى الحال الذي يمثل دوراً مهماً في مراحل الاستنباط وخطواته.

---

59 تبين إحصائيات في مجتمعات لا تقوم على شرائع الإسلام، أن أكثر من 65 مليون شخص مصابون بأمراض لا يمكن شفاؤها بسبب العلاقات المحرمة:
http://www.cnn.com/2000/HEALTH/12/05/health.stds.reut/
http://www.cdc.gov/nchstp/od/news/RevBrochure1pdfintro.htm، وأنه يتم الاعتداء على 683 ألف امرأة سنويا أي بمعدل 78 امرأة في الساعة، بسبب المسكرات والتبرج والإختلاط في الدراسة والعمل والمرافق العامة http://www.ojp.usdoj.gov/ovc/publica...gy/general.htm (نقلاً عن (http://www.shobohat.com/vb

3. أسباب النزول وأثرها في استنباط الهدايات من خلال سورة النساء

1.3. : أسباب النزول في سورة النساء

من أمثلة أسباب النزول في سورة النساء ما جاء في قوله تعالى: (وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً) [النساء: 32]، عن أم سلمة[60] رضي الله عنها أنها قالت (يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو ولنا نصف الميراث فأنزل الله (وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ)..)[61]، والحديث ذكره المفسرون[62]، ويوافق سياق الآية.

وجاء في سبب نزولها عن مجاهد، قال: قالت أمّ سلمة: يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو، ولهم من الميراث ضعف ما لنا، فليتنا كنا رجالا فنزلت الآية، وقال السدي: لما نزلت آية المواريث قال الرجال: نرجو أن نفضل على النساء في الآخرة كما فضلنا في الميراث وقال النساء: نرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال كما في الميراث فأنزل الله تعالى الآية، وقال لهم: ولا تتمنوا أيها الرجال والنساء الذي فضل الله به بعضكم على بعض من منازل الفضل، ودرجات الخير وليرض أحدكم بما قسم الله له من نصيب، ولكن سلو الله من فضله[63]. والقول الثالث في نزولها: أنه لما جعل الله الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين قالت

---

60 أُمُّ سَلَمَة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، واسمها هند بِنْت أبي أمية واسمه سهيل زاد الركب ابن المغيرة. تزوجها أبو سلمة واسمه عبد الله بْنُ عَبْدِ الأَسَدِ بْنِ هِلالِ وهاجر بها إلى أرض الحبشة في الهجرتين جميعًا فولدت له هناك زينب بنت أبي سلمة. وولدت له بعد ذلك سلمة وعمر ودرة بني أبي سلمة. ومات سنة أربع من الهجرة، وتزوجها رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وتوفيت في ذي القعدة سنة تسع وخمسين. ابن سعد،1423 هـ- 2003م، الطبقات الكبرى، ،ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت (8/ 69)

61 أخرج أحمد 26736 والترمذي (3022) قالَ الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين، إن كان سمع مجاهد من أمّ سلمة، ووافقه الذهبي. مسند أحمد (44/ 321)

62 انظر. الطبري (8/ 261)، والبغوي (1/ 608)، وابن العربي (1/ 526)، وابن عطية والقرطبي وابن كثير (2/ 286)، وابن عاشور (1/ 48)

63 انظر: الطبري، (261/8).

النساء: نحن أحوج لأنا ضعفاء، وهم أقدر على طلب المعاش فنزلت الآية . والرابع أنه أتت واحدة من النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت: رب الرجال والنساء واحد، وأنت الرسول إلينا وإليهم، وأبونا آدم وأمنا حواء . فما السبب في أن الله يذكر الرجال ولا يذكرنا، فنزلت الآية[64]. قال مجاهد: وأنزل فيها (إن المسلمين والمسلمات) [الأحزاب: 35][65]

2.3. أثر أسباب النزول في استنباط الهدايات القرآنية من خلال سورة النساء

أولاً: تفيد في إدراك وجوه بلاغة القرآن الكريم وإعجازه: قال تعالى: (وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً) يعني (لا تتمنوا خلاف ما حد الله في تفضيله، فإنه تعالى قد جعل لكل أحد مكاسب تختص به، فهي نصيبه، قد جعل الجهاد والإنفاق وسعي المعيشة وحمل الكلف كالأحكام والإمارة والحسبة وغير ذلك للرجال، وجعل الحمل ومشقته وحسن التبعل وحفظ غيب الزوج وخدمة البيوت للنساء) [66]. و(جعل ما قسم لكل من الرجال والنساء على حسب ما عرف الله من حاله الموجبة للبسط أو القبض كسباً له)[67]:

- من هدايات الآية ما يتعلق بالإعجاز التشريعي: يتضح من الآية مع سبب نزولها أنّ هناك فرقاً ملموساً بين الجنسين دفع للتساؤل عنه؛ ويفيد ذلك العدل الرباني حيث جعل فوارق تكوينية لكل من الذكور والإناث واعتبرها عند التكليف، ثم ساواهم في الأجور على الأعمال.

- من هدايات الآية ما يتعلق بالإعجاز البلاغي في القرآن: يتضح من الآية البلاغة القرآنية في تكرار كلمة (نصيب) الذي يشير إلى تلك الفوارق من ناحية، وتكرارها مع النساء يفيد

64 انظر: الرازي. التفسير الكبير. (10/ 66).

65 القرطبي. (1384هـ- 1964 م) الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: أحمد البردوني. دار الكتب المصرية، (5/ 162).

66 ابن عطية. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. (2/ 45).

67 الزمخشري. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. (1/ 504).

الاعتناء بأمرهنّ وإشارة إلى أصالتهنّ في الاستحقاق. وفي هذا رد على الطاعنين، والمطالبين بالمساواة المطلقة بين المرأة والرجل.

- من هدايات الآية العدل بين الجنسين وليست المساواة المطلقة المجحفة: في الآية مع سبب نزولها ومع الأيات اللاحقة لها من قوله تعالى (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله به بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) إشارة إلى القوامة والأعباء المالية والتنظيمية في الأسرة وأنها تليق بالرجال، وتكرار كلمة (نصيب) فيه إشارة إلى التفاوت ما بين نصيبي الفريقين في الأعباء والتكاليف فكلف الرجال بالجهاد، والجمع والجماعات، والسعي في الأرزاق، وإعالة الأسر، والإنفاق، وكلفت المراة بأعباء تختلف عن ذلك. فنصيب الرجال يليق بالرجال ولا يليق بالنساء، ونصيب النساء يليق بهن ولا يليق بالرجال.

- في الآية دحض لشبهات المستشرقين: في جانب النساء في الاسلام والتي يعتمدون فيها على مضاعفة نصيب الرجل في الميراث، والتكرار في قوله تعالى (وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ) واستقلال النساء بجملة تامة، بدد هذه الشبهة وأثبت حقوقهنّ في الثواب كالرجال سواء فالمرأة تُجزى بحسناتها كما يجزى الرجل بحسناته.

- من هدايات الآية ما يتعلق بالإعجاز التربوي: توضح الآية مع سبب نزولها أسلوباً تربوياً رفيعاً وحكيماً؛ فحكم النهي عن تمني ما فضل الله به بعضهم على بعض؛ جاءت معه مباشرة جملة التعقيب (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ) تحمل التعليل لهذا النهي، وتقطع العذر على المتمنين.

- في الآية إثبات للحقوق وإشارة إلى طبائع البشر في السعي الدائم لتحصيل المكاسب والحقوق: ابن آدم نساءً ورجالاً دوما في تطلع وسعي دائم للمكاسب، خاصة إذا كانت حقوق، قال النبي صلى الله عليه وسلم (لو كان لابن آدم واديان من مال لأراد لهم ثالثا)، وتكرار كلمة (نصيب) يثبت أن كل من الفئتين مستحقين لأصل النصيب.

ثانياً: تُمكن من معرفة الحكمة من التشريع واستصحاب ذلك عند الاستنباط: قال تعالى: (وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً)، يعني (لا تتمنوا في أمر خلاف ما حكم الله به، لاختيار ترونه أنتم، فإن الله قد جعل لكلّ أحد نصيباً من الأجر والفضل، بحسب اكتسابه فيما شرع له)[68]. وقيل معناها: لا يتمنّ بعضكم ما خصّ الله بعضاً من منازل الفضل . (لأن ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم بأحوال العباد، ... فعلى كل أحد أن يرضى بما قسم له علماً بأن ما قسم له هو مصلحته، ولو كان خلافه لكان مفسدة له)[69] و(لأن في تمنيهم هذا تحكماً على الشريعة، وتطرقاً إلى الدفع في صدر حكم الله، فهذا نهي عن كل تمنٍّ لخلاف حكم شرعي، ويدخل في النهي أن يتمنى الرجل حال الآخر من دين أو دنيا، على أن يذهب ما عند الآخر، إذ هذا هو الحسد بعينه)، وقال العلماء في قوله تعالى: (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ)، (معناه: للرجال نصيب من ثواب الله وعقابه مما اكتسبوا، فعملوه من خير أو شرّ، وللنساء نصيب مما اكتسبن من ذلك كما للرجال)[70]. وقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً) يعني بذلك جلّ ثناؤه: "إن الله كان بما يصلح عباده فيما قسم لهم من خير، ورفع بعضهم فوق بعض في الدين والدنيا، وبغير ذلك من قضائه وأحكامه فيهم (عَلِيماً) يقول: ذا علم، ولا تتنموا غير الذي قضى لكم، ولكن عليكم بطاعته والتسليم لأمره، والرضا بقضائه ومسئلته من فضله"[71] . و"أن علم الله قد أوجب الإصابة والإتقان والإحكام، فلا تعارضوا بتمن ولا غيره، وهذه الآية تقتضي أن الله يعلم الأشياء، والعقائد توجب أنه يعلم المعدومات الجائز وقوعها وإن لم تكن أشياء"[72] "والمعنى أنه تعالى هو العالم بما يكون صالحا للسائلين،

68 ابن عطية. المحرر الوجيز، مرجع سابق (2/ 45)

69 الزمخشري.الكشاف. (1/ 504).

70 القرطبي.جامع البيان. (8/ 267).

71 المصدر السابق.

72 ابن عطية. المحرر الوجيز. (2/ 45).

فليقتصر السائل على المجمل، وليحترز في دعائه عن التعيين، فربما كان ذلك محض المفسدة والضرر"[73]

- تفيد دراسة سبب النزول في إبراز محاسن الإسلام: تهدي الآية مع سبب نزولها إلى ضرورة توضيح الحكمة من خصائص الإسلام في التعامل مع المرأة، وتعليمها للمسلمات، وتحتاج مسيرة مجتمعاتنا الإسلامية اليوم إلى زيادة الاهتمام والتركيز على أمر إعداد المرأة المسلمة وتنمية شخصيتها وفق الهدي القرآني، مما سيؤثر إيجاباً في عزتها بدين الإسلام ومن ثم غرس ذلك في أسرتها ومجتمعها. وفي ذلك رد حقيقي على انتقادات أعداء الاسلام لوضع المرأة في الاسلام.

- تفيد دراسة سبب النزول في الوقوف على الخصائص الفطرية المميزة للمرأة: راعى الاسلام الطبيعة التكوينية والخصائص الفطرية المميزة للمرأة فوضع لها ما يتناسب مع فطرتها، الشيء الذي أغفلته المناهج الإصلاحية الأخرى في قراراتها بشأن المرأة.

- تفيد أنّ الإسلام يشجع المرأة على التعلم خلافاً لما يُثار: يفيد سبب نزول الآية سؤال المرأة وبحثها عن الحكم من التشريعات الإسلامية الخاصة بالمرأة[74]، ويشير ذلك إلى تشجيع المرأة على التعلم.

---

73 الرازي. التفسير الكبير. (10/ 67).

74 ذكر عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ الْأَنْصَارِيَّةِ، أَنَّهَا أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ، فَقَالَتْ: ... وَإِنَّكُمْ مَعَاشِرَ الرِّجَالِ فُضِّلْتُمْ عَلَيْنَا بِالْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَاتِ، وَعِيَادَةِ الْمَرْضَى، وَشُهُودِ الْجَنَائِزِ، وَالْحَجِّ بَعْدَ الْحَجِّ، وَأَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا أُخْرِجَ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا وَمُرَابِطًا حَفِظْنَا لَكُمْ أَمْوَالَكُمْ، وَغَزَلْنَا لَكُمْ أَثْوَابًا، وَرَبَّيْنَا لَكُمْ أَوْلَادَكُمْ، فَمَا نُشَارِكُكُمْ فِي الْأَجْرِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَصْحَابِهِ بِوَجْهِهِ كُلِّهِ، ثُمَّ قَالَ: " هَلْ سَمِعْتُمْ مَقَالَةَ امْرَأَةٍ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْ مَسْأَلَتِهَا فِي أَمْرِ دِينِهَا مِنْ هَذِهِ؟ " فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا ظَنَنَّا أَنَّ امْرَأَةً تَهْتَدِي إِلَى مِثْلِ هَذَا، فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ لَهَا: " انْصَرِفِي أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ، وَأَعْلِمِي مَنْ خَلْفَكِ مِنَ النِّسَاءِ أَنَّ حُسْنَ تَبَعُّلِ إِحْدَاكُنَّ لِزَوْجِهَا، وَطَلَبَهَا مَرْضَاتِهِ، وَاتِّبَاعَهَا مُوَافَقَتَهُ تَعْدِلُ ذَلِكَ كُلَّهُ " قَالَ: فَأَدْبَرَتِ الْمَرْأَةُ وَهِيَ تُهَلِّلُ وَتُكَبِّرُ اسْتِبْشَارًا (شعب الإيمان، حقوق الاولاد والأهلين 8369)

- يفيد سبب النزول أهمية معرفة الحكمة من التشريع في دفع التساؤل والحيرة عن النفوس.

- تفيد الرضا بما قدر الله كونا وشرعاً. وأن ما قدر الله سبحانه وتعالى من الأحكام الشرعية يكفل للمرأة وأسرتها ومجتمعها سبل السلام والسعادة، وليس الأمر كما يظهر الاعلام المنحرف أنّ المرأة المسلمة مهضومة الحقوق، وأن غير المسلمات يتفوقنّ بمميزات زائدة.

- يفيد سبب النزول أهمية المبادرة إلى معالجة الأفكار التي لابد من تقويمها عند بعض النساء في المجتمع.

ثالثاً: يعين على التصور الكلي الذي يفيد في استنباط الهدايات الكلية من السورة: قال تعالى: (وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً) أي (ولا تتمنوا أنصباء غيركم من الفضل، ولكن سلوا الله من خزائنه التي لا تنفد)[75] يعني بذلك جلّ ثناؤه: واسألوا الله من عونه وتوفيقه للعمل بما يرضيه عنكم من طاعته، ففضله في هذا الموضع: توفيقه ومعونته . فضله العبادة ليس من أمر الدنيا[76] .

يتضح من عموم سورة النساء مع سبب نزول هذه الآية؛ التصور الكلي للموضوع وهو معالجة قضية الحقوق، وهي موضوع رئيس في سورة النساء، فهناك فروقات حقيقية بين الرجال والنساء، وهناك تساؤل بشأنها من قبل الجنسين، وتساءلت عنها النساء في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ومازالت تثار حولها القضايا حتى الآن، وأن السورة سميت باسم "النساء" لأنها جاءت تحمل الإنصاف لحقوقهنّ والرعاية الشاملة لهنّ.

يتركز الغزو الفكري على المرأة المسلمة وعلى إبعاد أنظارها عن معالم المنهج الرباني بواسطة الاعلام العالمي عن قضايا المرأة، وعن طريق احتضان كثير من المسلمات باساليب شتى، مثل المنح الدراسية والرعاية المعنوية والأكاديمية والتطويرية وحتى المادية، وما زال الجهد

75 الزمخشري.الكشاف. (1/ 504).

76 الطبري.جامع البيان. (8/ 268).

المبذول الخاص بإعداد المرأة المسلمة وفق المنهج القرآني لا يتكافأ مع حجم ذلك الغزو الفكري. وفي هذه الآية مع سبب نزولها حث معشر الرجال على الاهتمام بقضايا النساء، ففي الآية إثبات "نصيب" الرجال وتقديمه على "نصيب" النساء تكريماً وتأكيداً على ما للرجال من درجة، وفي ذلك دافع لهم على عدم جحود النساء حقوقهنّ وعلى مزيد رعايتهم للنساء.

رابعاً: تفيد في فهم المعنى وتوضيحه، وبالتالي دقة استنباط الهدايات منه: من أمثلة تأثير سبب النزول على فهم المعنى واستنباط الهدايات منه في سورة النساء؛ قول العلماء في تفسير الآية: (وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ) (32) : (يعني بذلك جلّ ثناؤه: ولا تتشهّوا ما فضّل الله به بعضكم على بعض، وذكر أن ذلك نزل في نساء تَمَنّين منازل الرجال، وأن يكون لهم ما لهم، فنهى الله عباده عن الأمانيّ الباطلة، وأمرهم أن يسألوه من فضله إذ كانت الأمانيّ تورِث أهلها الحسد، والغي بغير الحقّ)[77] . وفيه:

- بيان ما لا يجوز تمنيه للنساء المذكورات في سبب نزول الآية واللاتي تساءلن وتمنين التكليف والنصيب الذي فُرض للرجال، وهو عام لكل من يتمنى حال الآخر فيما لا يجوز تمنيه.

- فضل الشهادة على سائر أعمال البر وعلو همة المرأة الصالحة في الرغبة في أفضل أعمال البر حيث تساءلنّ عن أجر الجهاد.

- فيها أن التمني إذا كان داعيه الحسد أدى إلى التباغض وهذا ما تدعو إليه الحركات النسوية المتطرفة[78] التي تدعو من خلال قضايا المرأة إلى التباغض والتنافس بين النساء والرجال، والتمني المنهي عنه في الآية من هذا القبيل وهذا هو الحسد الذي ذمه الله تعالى بقوله: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) [النساء: 54] .

77 المرجع السابق.

78 هي حركات التطرف النسوي التي تدعو إلى المعاداة المطلقة لجنس الرجال والإستغناء الكامل عنهم.

- فيها الإرشاد والتوجيه (وَلَا تَتَمَنَّوْا) الذي يناسب المواقف التربوية للمرأة؛ فأسلوب الأمر الوارد في قوله تعالى (وَلَا تَتَمَنَّوْا) جاءت بعده المبررات في قوله تعالى (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ).

خامساً: تفيد في الربط بالواقع عند الموازنة بين سبب النزول وبين الحال المعاصر: عند الموازنة بين التساؤل عن المساواة بين المرأة والرجل الذي ظهر من النساء في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والذي عالجته الآية وبين معاناة المسلمين اليوم من دعوى مساواة المرأة بالرجل في كل شيء والذي يهدد كيان الأسرة والمجتمع يفيد ذلك في استنباط هدايات السورة في معالجة هذا الواقع. قال الرازي: (واعلم أنه يمكن أن يكون المراد من هذه الآية ما يتعلق بأحوال الدنيا، وأن يكون ما يتعلق بأحوال الآخرة، وأن يكون ما يتعلق بهما)[79]، و يمكن أن يكون المراد (الثواب والعقاب)، (فللمرأة الجزاء على الحسنة بعشر أمثالها كما للرجال. وقال ابن عباس: المراد بذلك الميراث . والاكتساب على هذا القول بمعنى الإصابة، للذكر مثل حظ الأنثيين، فنهى الله عز وجل عن التمني على هذا الوجه لما فيه من دواعي الحسد ؛ ولأن الله تعالى أعلم بمصالحهم منهم، فوضع القسمة بينهم على التفاوت على ما علم من مصالحهم)[80]

- يوضح سبب نزول الآية مدى عناية الإسلام بالنساء حيث يجاب عليهنّ بمخاطبة عقولهنّ وهذا أسلوب تربوي يجب القيام به تجاه المرأة وفي ذلك تأكيد على ضرورة العناية _في هذه الفترة الحرجة التي تمر بها الأمة_ بقضايا المرأة عموماً وحسن إعدادها وتربيتها وتطويرها على أسس الإسلام من قبل أسرتها والعلماء والدعاة والمصلحين والمفكرين والمؤسسات التعليمية والتربوية والدعوية.

79 الرازي، التفسير الكبير. (10/ 66).

80 القرطبي.تفسير القرطبي. (5/ 164).

- تفيد أن قوة الشخصية في المرأة أن يكون بحثها عن الحق والخير لبنات ملتها في حدود ما شرع الله لهنّ وليس كما تفعل بعض النساء اليوم من الخروج عن الضوابط الشرعية، فما كان من أم سلمة هو سؤال عن ما يخص النساء في الأجور والأعمال الصالحة.

- يحث سبب النزول على السعي لاثبات حقوق المرأة وواجباتها من منطلق الإسلام ونشرها عالمياً وتقديمها كمنهج للحلول المتكاملة للمرأة والأسرة.

سادساً: أحوال النزول تفيد في ربط معاني الآية مع آيات أخرى في الومثال ذلك أنّ بالجمع بين الآية وسبب نزولها مع الآيات الخاصة بالمرأة والأسرة، مثل الآيات: 3،4 ،7، 18- 24، 34،35، نجد أنّ السورة تهدي إلى منهج قرآني متكامل في معالجة قضايا المرأة والأسرة. ويتطلب هذا المنهج الدراسات العلمية والممارسة العملية ليقوى الأثر التربوي على المرأة المسلمة المتطلب في كثير من المجتمعات المسلمة اليوم.

- قال القرطبي عند تفسير هذه الآية: (وكانت أم سلمة أول ظعينة قدمت المدينة مهاجرة)[81]، ويشير ذلك إلى جهود المرأة وتضحياتها في سبيل الله، وفضل المهاجرات، وفيه كذلك ضرورة رعاية واحتضان المهاجرات من بلاد الكفر إلى الإسلام ومن بيئات المعاصي إلى الالتزام بالشرع، ومن المناداة بقضايا المرأة على المنهج الغربي إلى المناداة بشرع الإسلام.

- وفيه نموذج لمطالبة المرأة بما يرضي الله، وابتغاء مرضاة الله، وليس محض المكاسب الشخصية والمصالح الدنيوية.

يتبين مما سبق أثر أسباب النزول في استنباط الهدايات فإنّ لقصة النزول أو السؤال الذي كان سبباً للنزول دوراً مهماً في مراحل الاستنباط وخطواته.

81 المصدر السابق.

4. الخاتمة

بتوفيق الله سبحانه توصلت من خلال هذا البحث إلى جملة من النتائج والتوصيات ألخصها في النقاط التالية:

(1) أن الوقوف على أحوال نزول السورة يوصل إلى الهدايات التي قد لا تُفهم من ظاهر اللفظ.

(2) تتضمن أحوال النزول دراسة تاريخ نزول السورة، وترتيب نزولها، وأول ما نزل وآخر ما نزل منها، والمكي والمدني فيها، وأسباب النزول في آيات السورة والأحوال السائدة عند نزول السورة.

(3) وأن لدراسة أحوال النزول دور مهم وكبير يؤثر في فهم معاني النص القرآني إما بالتأكيد أوالإضافة أوالتعضيد أوالتوضيح أوالاستدلال، وغيرها من الآثار التي وُضحت بأمثلتها في متن البحث.

(4) وتفيد دراسة أحوال النزول في إدراك وجوه بلاغة القرآن الكريم، وجوانب من إعجازه، وتمكن من الوقوف على الحكمة من التشريع، وتؤدي إلى التصور الكلي، وفهم المعنى، وربط معاني آيات متعددة، مما يشكل دوراً مهماً يعين على دقة الاستنباط وسلامته، وعلى ربط هدايات الآيات بالواقع المعاش وكل ذلك يمثل معياراً من معايير الجودة في دراسة الهدايات القرآنية.

(5) وتوصل البحث إلى أنّ بمعرفة تاريخ نزول السورة يتكون تصوراً عاماً للأحوال السائدة عند نزولها؛ ويفيد ذلك في الوصول إلى هدايات كلية من السورة، ومن أمثلة ذلك مما أثمرته الدراسة التطبيقية على سورة النساء:أنّ القضية الحقيقية للمرأة والأسرة اليوم والتي عالجتها هدايات سورة النساء هي تخلف المجتمع وانحرافه عن أحكام الإسلام بسبب التقاليد المحلية أوالأفكار الدخيلة على المجتمعات المسلمة.

(6) وأنّ إعداد المجتمعات ونهضتها يبدأ من حسن إعداد النساء ورعايتهنّ وإنصافهنّ، الأمر الذي دعت له سورة النساء، في ربط دقيق بين الأمور العقدية والاجتماعية، ويدخل في حسن الإعداد كل ما لا يخالف تعاليم الشرع من التعليم والتدريب والتطوير وتنمية المهارات، والعيش الكريم إلى غير ذلك.

(7) تهدي سورة النساء إلى وسائل وأساليب لصيانة الأسر والمجتمعات من التفكك، والتفرق، ولتحقيق الاجتماع، والتواصل.

(8) ومن هدايات السورة مبدأ الرحمة الإنسانية للبشرية عامة ولكل من يعيش تحت مظلة الجماعة المسلمة.

(9) وتوصلت الباحثة أيضاً بالدراسة التطبيقية على سورة النساء؛ إلى أن هناك تشابهاً كبيراً بين الأحوال السائدة عند نزول سورة النساء وبين الواقع المعاصر وذلك يؤكد صلاحية هدايات القرآن الكريم لمعالجة قضايا البشرية في كل زمان ومكان، ومن أمثلة ذلك: التشابه في واقع هضم حقوق المرأة بين الجاهلية الأولى والجاهلية المعاصرة حيث تُهضم الحقوق الإنسانية للنساء والأطفال في بعض البيئات في عصرنا الحالي وفي أكثر البلدان تطوراً ومناداةً بالحقوق، بسبب البعد عن أحكام الإسلام، فجاءت سورة النساء بأحكام تكفل تلك الحقوق، بالطريق الصحيح المناسب وليس كما تقرره مؤتمرات المرأة والطفل المعاصرة اليوم؛ مما يخالف بعضه الفطرة السليمة والشرع القويم.

(10) ومن أمثلة التشابه بين الأحوال السائدة عند نزول سورة النساء والواقع المعاصر، أن مجتمعات الجاهلية_التي انحدر المسلمون منها_ كانت قد اتسمت بالتفرق والعداء؛ وفي واقع اليوم نجد ازدياد نسبة الفرقة وسط الجماعة المسلمة، حتى أصبح تحقيق الاجتماع والتوحد أمر شاق، وعسير، فجء في سورة النساء تقرير اعتبار الأصل الواحد في الخلق (من نفس واحدة) والذي يقلل من الفجوة، ويفتح المجال لتقدير حجم الاختلاف

ودراسته بموضوعية دون تهويل ولا تقليل، للوصول لقنوات التفاهم والتوحد المطلوب بين أبناء الأمة.

وبناءاً على هذه النتائج تمت التوصية بالآتي:

(1) المحافظة على محاسن وخصوصيات التشريع الإسلامي، بتنزيل الهدايات القرآنية على الواقع، وإزالة المعوقات التي تحد من تفعيلها، وإسعاد المجتمعات بها.

(2) التعريف بالهدايات القرآنية ودورها في نهضة البشرية من خلال معالجة القضايا التي تؤرق المجتمعات الإنسانية.

(3) تصميم مناهج في مهارات تحليل النص القرآني تراعي النظر في أحوال النزول، بجانب مراعاة النواحي الأخرى ؛ النواحي اللغوية، والأساليب، والمناسبات، والربط بالواقع، ... الى غير ذلك.

(4) جمع المهتمين والمختصين من المؤسسات والباحثين في مجال القرآن والسنة والعلوم الإنسانية والتقنيات والوسائط الحديثة، في مؤتمرات دورية لتطوير مشاريع الهدايات القرآنية، وتفعيلها في حل القضايا المتنوعة.

(5) إنشاء مركز تقني يختص بإعداد التطبيقات الإلكترونية التي تُسهل على الباحثين في الهدايات عملهم، من حيث الإعداد والنشر.

(6) العناية بنشر الهدايات القرآنية بصورة تيسر فهمها وتداولها بين الناس وتطبيقها حسب فئاتهم المجتمعية، مع ربطها بواقعهم المعاش .

(7) الحرص على الالتزام بالقواعد المنهجية في استنباط الهدايات الفرآنية ونشرها، وتبني الأبحاث المتميزة في مجالها.

(8) إنشاء فروع لكرسي الهدايات القرآنية في الجامعات الإسلامية وغير الإسلامية.

(9) إنشاء شبكة تمكن من التعاون وتبادل الخبرات بين مراكز بحوث القرآن الكريم في مجال الهدايات.

المصادر والمراجع:

REFERENCES:

Abū Ḥayān. (1999). Al-Baḥr al-Muḥīt fī al-Tafsīr. Taḥqīq: Sidiqī Muḥammad Jamīl. Beirūt: Dār al-Fikr.

Al-Baihaqī. (1413H-1993M). Al-Asmā' wa al-Sifāt. Taḥqīq: ʻAbd Allāh bin Muḥammad al-Ḥāsyidī. Jeddah: Maktabah al-Suwādī.

Al-Baqā'ī. (1408H-1987M). Maṣā'id al-Naẓar li Isyrāf ʻalā Maqāṣid al-Sūr. Al-Riyadh: Maktabah al-Ma'ārif.

Al-Fairūz Ābādī, Muḥammad al-Dīn Abū Ṭāhir Muḥammad bin Ya'qūb. (1426H-2005M). Al-Qāmūs al-Muḥīt. Beirūt: Maktab Taḥqīq al-Turath fī Muassasah al-Risālah, Al-Nāsyir: Muassasah al-Risālah li Ṭabā'ah wa al-Nasyr wa Tauzi'. Ed.8

Al-Ḥadādī. (1410H-1990M). Al-Taufiq ʻalā Mahmāt al-Ta'ārīf. ʻĀlim al-Kutub, Ed.1.

Al-Ḥākim. (1411H-1990M). Al-Mustadrak ʻalā al-Ṣaḥīḥīn. Taḥqīq: Muṣṭafā ʻAbd al-Qādīr ʻAṭā. Dār al-Kutub al-ʻIlmī.

Al-Karamī. Qalāid al-Marjān. Taḥqīq: Sāmī ʻAṭā Ḥasan. Al-Kuwait: Dār al-Qur'ān al-Karīm.

Al-Manāwī, Zain al-Dīn Muḥammad al-Mad'ū bi ʻAbd al-Ra'ūf bin Taj al-ʻĀrifīn bin ʻAlī bin Zain al-ʻĀbidīn

Al-Qurṭubī. (1384H-1964M). Al-Jāmi' li Ahkām al-Qur'ān. Taḥqīq: Aḥmad al-Bardūnī. Dār al-Kutub al-Miṣriyyah.

Al-Rāghib al-Aṣfahanī, Abū al-Qāsim al-Ḥusīn bin Muḥammad. (1991). Al-Mufradāt fī Gharīb al-Qur'ān. Taḥqīq: Ṣafwān ʻAdnān al-Dāwidī. Damsyik: Dār al-Qalam. Ed.1.

Al-Rāzī. (1999). Al-Tafsīr al-Kabīr. Beirūt: Dār Ihyā' al-Turāth al'Arabī.

Al-Suyūṭī. (1394H-1974M). Al-Itqān fī 'Ulūm al-Qur'ān. Taḥqīq: Muḥammad Abū al-Faḍl. Al-Hai'ah al-Misriyyah al-ʻĀmah li Kitāb.

Al-Ṭabrī. (1422H-2001M). Jāmi' al-Bayān ʻan Ta'wīl Āyyu al-Qur'ān. Taḥqīq: ʻAbd Allāh ʻAbd al-Muḥsin al-Turkī. Dār Hajar.

Al-Tuwaijzī, Ja'far Syarif al-Dīn. Al-Mawsū'ah al-Qur'āniyyah Khaṣāiṣ al-Sūr. Taḥqīq: ʻAbd al-ʻAzīz bin ʻUthmān. Dār al-Taqrīb baina al-Mazāhib al-Islāmiyyah.

Al-Wāḥidī. (1412H-1992M). Asbāb Nuzūl al-Qur'ān. Taḥqīq: 'Iṣām al-Ḥamīdān. Al-Dimām: Dār al-Iṣlāḥ.

Al-Zarkasyī, Badr Al-Dīn. (1376H-1957M). Al-Burhān fī 'Ulūm al-Qur'ān. Taḥqīq: Muḥammad Abū al-Faḍl. Dār Ihyā' al-Kutub al-'Arabiyyah.

Ibnu 'Āsyūr, Muḥammad al-Tāhir. (1984). Al-Tahrīr wa al-Tanwīr. Al-Dār al-Tūnisiyyah li Nasyr.

Ibnu al-Ḍarīs. (1408H-1987M). Faḍāil al-Qur'ān. Taḥqīq: Ghazwah Badīr. Damsyik: Dār al-Fikr.

Ibnu Ḥajar al-'Asqalānī. (1994). Al-Iṣābāh fī Tamyīz al-Ṣaḥābah. Taḥqīq: 'Ādil Aḥmad 'Abd al-Mawjūd. Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah.

Ibnu Manẓūr, Muḥammad bin Mukrim bin 'Alī. (1993). Lisān al-'Arāb. Beirūt: Dār Ṣādir. Ed.3.

Ibnu Sa'ad. (1423H-2003M). Al-Ṭabaqāt al-Kubrā. Taḥqīq: Muḥammad 'Abd al-Qādir 'Aṭā. Beirūt: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah.

Ibnu Taimiyyah. (1416H-1995M). Majmū' al-Fatāwā. Taḥqīq: 'Abd al-Raḥman bin Muḥammad bin Qāsim. Mujamma' al-Malik Fahad li Ṭabā'ah al-Muṣḥaf.

Ibnu Taimiyyah. (1490H-1980M). Muqaddimah fī Usūl al-Tafsīr. Beirūt: Dār Maktabah al-Ḥayāh.

Manā' al-Qiṭān. (1422H-2001M). Tārikh al-Tasyrī' al-Islāmī. Maktabah Wahbah.

Muḥammad Bakr Isma'īl. (1419H-1999M). Dirāsāt fī 'Ulūm al-Qur'ān, Dār al-Manār.

Muḥammad Rasyīd Reḍa. (1990). Tafsīr al-Manār. Al-Hai'ah al-Miṣriyyah al-'Āmah li Kitāb, at-Taufīq 'Alā Mahmāt al-Manāwī, al-Qāherah: 'Ālim al-Kutub.

Sayyid Quṭb. (1991). Fī Ẓilāl al-Qur'ān. Beirūt: Dār al-Syurūq, Ed.17.

Ṭaha 'Ābidīn, Yasin Qārī, Fakhr al-Dīn 'Alī. (2017). Al-Hidāyāt al-Qur'āniyyah Dirāsah Ta'ṣīliyyah. Maktabah al-Mutanabbi'

http://www.shobohat.com/vb